

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين سيما خليفة الله في الأرضين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(٥٧٠)

افتراض المعدوم والحكومة التنزيلية

تتمة: سبق " (لا يقال: افتراض المعدوم موجوداً وهم؟)

إذ يقال: كلا، بل هو اعتبار عقلائي، وفرق بينهما كبير ولذا كان اعتبارها زوجةً بالعقد صحيحاً رغم انه ليس بظاهره إلا وهماً، وكذا اعتبار النقود الورقية ذات قيمة تعادل قيمة الذهب فانه وهمٌ لكن الفرق أن ما بنى العقلاء على اعتباره يخرج عن كونه مجرد وهم إلى كونه اعتباراً^(١).

ويوضحه أكثر (الحكومة التنزيلية) وجوداً كقوله عليه السلام: «الطَّوْفُ بِالْبَيْتِ صَلَاةٌ»^(٢) رغم كونهما حقيقتين مختلفتين متباينتين تكوينياً، وعدمًا ك: (لا شك لكثير الشك، أو مع حفظ الإمام، أو مع حفظ المأموم) فان شكّه تكويناً لا يزول لكنه تنزيل لشكّه منزلة العدم، وذاك تنزيل للطواف منزلة الصلاة، ولا يعدّ وهماً بل هو اعتبار عقلائي والفرق قيام الاعتبار بأنفس العقلاء وإسنادهم له وبنائهم عليه دون الوهم، فهذا ما نراه، وذهب بعض الفلاسفة إلى قيام الاعتبار بالعقل الفعّال، وهو مدخول لبطلان أصل العقول العشرة. وقد تكون الاعتبارات قائمة باللوح أو غيره والله العالم إلا ان المسلم قيامها بأنفس العقلاء هذا.

شهادة القضية الشرطية على صحة البعث التعليقي

تتمة: ويؤكد ما ذكرناه من البعث التعليقي وانه واقع وحسن، القضية الشرطية، لبداهة صحة قول المولى أو الأب أو الصديق: ان ولد لك ذكر فاطعم وإن شتمك زيد فأعف عنه، فانه بعث تعليقي دون شك وقد انفك فيه الإنشاء عن المنشأ، وعلى أي فان إنكار البعث التعليقي يستلزم لا محالة إنكار القضية الشرطية المعلق فيها الإنشاء على شيء مقدر الوجود. هذا.

توجيه كلام العلامة بان وجود المكلف شرط للتكليف الفعلي^(٣)

وقد سبق الاعتراض على كلام العلامة الحلبي في نهج الحق وكشف الصدق حيث منع تكليف المعدوم ومخاطبته، فأجبنا بصحة البعث التعليقي أولاً وبصحة مخاطبة المعدوم بتنزيله منزلة الموجود أو بنحوين آخرين، وقد ناقشنا كلامه وأمثله بوجوه أخرى أيضاً، ولكن يمكن الدفاع عنه بما سلف من: (ولكن يمكن ان نوجّه كلام العلامة الحلبي في قوله: (ذهبت

(١) الدرس (٥٦٩).

(٢) ابن أبي جمهور الاحسائي، عوالي اللآلئ، دار سيد الشهداء (عليه السلام) - قم، ١٤٠٥هـ، ج ٢ ص ١٦٧.

(٣) دون التعليقي.

الإمامية إلى أن شرائط التكليف ستة) بانه يقصد ان شرائط التكليف الفعلي، وليست الشرائط التي ذكرها شرائط للتكليف التعليقي، وقوله (الأول: وجود المكلف) يريد انه شرط التكليف الفعلي، لا شرط التكليف التعليقي المستقبلي، فبه يندفع الإشكال عنه **ثُمَّ سُبِّحَ** كما به جرى تنقيح كيفية تصحيح التكليف التعليقي في **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾** وتكليف النائم والمجنون تعليقاً.. فتأمل^(١).

ويؤكد التوجيه: ان ظاهر لفظ (التكليف) ككل مصدر آخر هو الفعلية لا التعليقية فقوله (ذهبت الإمامية إلى ان شرائط التكليف ستة) ينبغي ان يكون المقصود منه ظاهره وهو شرائط التكليف الفعلي وقوله: (لامتناع تكليف المعدوم) يقصد امتناع تكليفه فعلاً لا تعليقاً، وكذلك كل ما يشابه هذا التعبير في كتب الكلام ومنه ما جاء في تجريد الاعتقاد للمحقق الطوسي مع شرح القول السديد في شرح التجريد للسيد الوالد: ("و" أما ما يرجع إلى المكلف بالفتح فأمران: الأول . "قدرة المكلف على الفعل" وإلا لم يحسن التكليف. "و" الثاني . "علمه به أو إمكانه" أي إمكان العلم. وقوله: "وإمكان الآلة" فهو من توابع القدرة على الفعل، إذ لو توقف الفعل على الآلة كالاتقاء من البئر كان المكلف بدون الآلة غير قادر على الفعل . فتدبر) فان قوله (قدرة المكلف على الفعل) يقصد به اشتراط القدرة الفعلية وانها شرط في التكليف الفعلي (وأما القدرة التعليقية فهي شرط في التكليف التعليقي).

مناقشة التوجيه مع أخذ ورد

وهذا التوجيه تام ومتين، لولا ان أمثلة العلامة وسياق كلامه يأباه ولذا يصعب دعوى قبوله للتكليف التعليقي كما انه لا يمكن الدفاع عن استشهاده ب(يا سالم، قم...) كما مضى الفرق بين المقام وبينه.

نعم يمكن تقوية التوجيه بانه في مقام ردّ الاشاعة فانهم يقولون بصحة تكليف المعدوم فعلاً ومخاطبته فعلاً (أي بصحة التكليف الفعلي للمعدوم) كما يرون جواز تكليف ما لا يطاق، فردّه رد على دعواهم الفعلية، لكن هذا التوجيه مما لا يجديه إذ انه **ثُمَّ سُبِّحَ** لو كان مدعناً بصحة التكليف التعليقي لأمكن للاشعري ان يجيب على إنكاره التزامهم بقول الله تعالى في الأزل (حسب مدعاهم) **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾**^(٢) حيث انكره بقوله (انه لا شخص هنالك)، بانه^(٣) وإن لم يكن شخص هنالك في الأزل لكنه يصح البعث التعليقي والخطاب التنزيلي، والحاصل: ان العلامة يريد رد دعواهم الأزلية بهذا الوجه والذي يبني على منع حتى التعليقي والتنزيلي وإلا لما صح الرد، على انه يرد عليه **ثُمَّ سُبِّحَ** ان إنكاره كون كلام الله تعالى أزلياً لا يدفع عنه هو أيضاً الإشكال بكيفية إمكان خطاب الله تعالى للمعدوم وتكليفه له، وذلك لفرض سبق نزول القرآن الكريم على وجود المسلمين والناس زمن النبي **ﷺ** لبداية ان القرآن نزل جملة على قلب الرسول **ﷺ** يوم المبعث ولما يولد الكثير من المسلمين ذلك الحين وحتى الآن وإلى يوم القيامة فعليه ان يلتزم بان الخطاب والتكليف إنما

(١) الدرس (٥٦٩).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٣) متعلق ب(يجيب).

كان للناس الموجودين البالغين زمن نزول الآية فقط.. بل يرد عليه أقوى من ذلك وهو وجود القرآن في اللوح المحفوظ قبل خلقه كافة المسلمين، كوجود كافة المقدرات التكوينية والأوامر التشريعية فيه^(١)، فكيف خاطب تعالى المعدومين وكلفهم؟ لا مناص إلا من الالتزام بتعليقية التكليف وتنزيلية الخطاب.

ملخص المختار في تكليف المعدوم وخطابه

وحاصل المختار في توضيح كلمات القوم أو توجيهها نذكره مدمجاً بعبارات العلامة (ان شرائط التكليف أي الفعلي، لا التعليقي، ستة) (الأول: وجود المكلف لامتناع تكليف المعدوم) أي بقيد المعدومية لا في ظرف المعدومية فإنه يصح تكليفه في ظرفها بنحو البعث التعليقي.

وقوله: (وخالفت الأشاعرة في ذلك، فجوزوا تكليف المعدوم، ومخاطبته) أي بتكليف فعلي وخطاب فعلي، والحق امتناع ذلك وان الصحيح هو صحة تكليفه بتكليف فعلي وخطابه بخطاب تنزيلي (فعلي على التنزيل).

العلامة: لا يعقل ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ مع دعوى أزلية القرآن

وأما قوله: (ويقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾^(٢)، ولا نوح هناك، وهذه مكابرة في الضرورة)^(٣)، فيقصد به: انه كيف يقولون ان القرآن وخطاباته كانت في الأزل مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ ولو كانت في الأزل سابقة على نوح لوجب ان يقول: (إنا سوف نرسل نوحاً)؟.

المناقشة: هناك مصححان:

ولكنّ هذا الاعتراض غير تام، إذ يصح التعبير عما سيجري في المستقبل بصيغة الماضيين بوجهين:

١- تنزيل المستقبل محقق الوقوع منزلة الماضي

الأول: ان المستقبل المحقق الوقوع ينزل منزلة الماضي فيعبر عنه بصيغة الماضي وذلك كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ

(١) قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (سورة البروج: الآيتان: ٢١-٢٢) وفي تفسير الصافي: (في لوح محفوظ: من التحريف والتبديل. القمي: قال: عن الصادق عليه السلام قال: بينا رسول الله ﷺ جالس وعنده جبرئيل عليه السلام إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء. إلى أن قال: قال جبرئيل عليه السلام: إن هذا إسرافيل حاجب الرب وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه، ثم ألقاه إلينا نسعى به في السماوات والأرض.

والقمي: قال: اللوح له طرفان، طرف على يمين العرش، وطرف على جبهة إسرافيل، فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي، ضرب اللوح جبين إسرافيل، فنظر في اللوح، فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل عليه السلام) (تفسير الصافي، مكتبة الصدر. طهران: ج ٥ ص ٣١٢).

(٢) سورة نوح: الآية ١.

(٣) الدرس (٥٦٩).

المكاسب (البيع: شرائط المتعاقدين) الثلاثاء ٢١ ذو القعدة / ١٤٤٣هـ (٩١٢).

مَا عَمِلْتَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوُّا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١﴾ مع ان الكلام عن يوم القيامة، والقرآن نزل على قلب النبي ﷺ قبل يوم القيامة بكذا وكذا من السنين.

المشتق حقيقة في المتلبس بلحاظ حال التلبس

الثاني: ان المشتق حقيقة فيما انقضى عنه المبدأ بلحاظ حال التلبس، وكذلك هو حقيقة فيما سيتلبس بالمبدأ بلحاظ حال تلبسه، ويوضحه المثال الآتي: فانك لو علمت اليوم (الجمعة) بان زيدا سيضرب عمراً غداً (السبت) وعلمت ان سعيداً سيذهب إلى بلدهما بعد غدٍ (الأحد)، فيصح لك ان تقول لسعيد اليوم (أي يوم الجمعة): إذا رأيت زيدا بعد غد (الأحد) فقل له: لم ضربت عمراً مع انه محسن إليك مثلاً، فهذا التعبير بالماضي هو الصحيح (لم ضربت) مع انه لم يضربه الآن (الجمعة، حين هذا الكلام) وسيضربه غداً (السبت)، بل لا يصح لك ان تقول له: (قل له لا تضرب)، إذ الفرض انك تلبست بالمحاورة في ظرف الأحد، والسبت بالنسبة للأحد، ماضٍ، فتدبر جيداً.

تنبيه: مكانة العلامة الحلبي

إن العلامة الحلبي يعد من أعظم عظماء العالم بعبقريته الفذة وإنجازاته الفريدة ويكفي ان مؤلفاته بلغت الألف كتاب ورسالة وهو رقم مذهل حقاً وفيها جواهر كتب الكلام والأصول والفقه (تسع دورات فقهية مختلفة) وغيرها، والمناقشة في بعض كلمات العظماء لا تنقص من مقامهم، فانها لو صحت، لما أخلت بعظمة أي عظيم إذ العصمة لله تعالى ولأهلها صلوات الله عليهم ولا غير، ومناقشة القول أمر وعظمة القائل أمر آخر.

إلفات: حيث بدأت العطلة السنوية، لذا سنوكل تنمة البحث إلى العام القادم بإذن الله تعالى وسنستعرض الإشكالات الثلاث التي طرحها الشيخ على الاستدلال بحديث (رفع القلم) على بطلان معاملاته ونبدأها بمناقشة مصباح الفقه للشيخ إذ اعترض على استظهاره كون القلم قلم المؤاخذة لا قلم جعل الأحكام ثم مناقشة العقد النضيد^(١) للمصباح ثم مناقشتنا لهما، ومناقشات أخرى للسيد الوالد وغيره^(٢)... والله المستعان.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لَا بُدَّ لِلْعَاقِلِ مِنْ ثَلَاثٍ: أَنْ يَنْظُرَ فِي شَأْنِهِ، وَيَحْفَظَ لِسَانَهُ، وَيَعْرِفَ زَمَانَهُ...» (تحف العقول: ص ٢٠٣).

تبيّن ملاحظة نص الدرس على الموقع التالي: m-alshirazi.com

(١) سورة الزمر: الآيات ٦٨ - ٧٤.

(٢) العقد النضيد: ج ٢ ص ٤٢٤.

(٣) ونعود إلى صدر مباحثتنا في الدرس (٥٥٥) بإذن الله تعالى لإكمالها.